

# الرّواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتّجريب

عبد الرّحمن بغداد

## الرّواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتّجريب

"خارج السّيطرة" لعبد اللّطيف ولد عبد الله نموذجًا

### The Algerian crime novel between adventure and experimentation

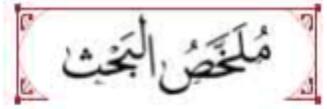
"Kharij elsaytara" by Abdellatif Ould Abdallah as a model

عبد الرّحمن بغداد\*

معهد الآداب واللّغات – المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

abderrahmane.beghdad@cumaghnia.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2023 / 06 / 01	2023 / 05 / 02	2023 / 03 / 07



عملت الرواية البوليسية، وهي شكل تعبيرى، على استثمار مكونات الرواية الفنية الحديثة، سواء على مستوى الشكل أو المضمون. منها مكون التشويق المرتبط بالتخييل المؤطر لقضايا التحري عن الجريمة الغامضة Le crime mystérieux، وفك المحقق Le détective لألغاز القضية عبر عملية التحقيق L'Enquête والمتابعة، بالإضافة إلى اعتماده على حبكة مُتماهية مع باقي الركائز الأساسية للرواية البوليسية كالمجرم، والضحية، والمشتبه به، والعناصر التضليلية، والحل... إلخ. وعلى الرغم من حداثة الرواية البوليسية، وكثرة رواجها، إلا أنّ حظّها من العناية في الأدب العربي عموماً، والجزائري منه خصوصاً، إبداعاً وتاريخاً ونقداً وتأصيلاً، قليلٌ وشبه مُنعدم، بل لا نكاد نَعثر على روائيين مُختصين في إنتاج هذا الشكل الروائي، لاعتبارات عديدة منها أنّ الأديب العربي يكتب أدباً رصيناً دفاعاً عن قضية، أو سعياً وراء مجدٍ أدبيّ.

وتأسيساً على ذلك، تُحدد موضوع هذه الورقة البحثية في تتبع مرحلة التجريب التي عرفها المحكي البوليس الجزائري في رواية "خارج السيطرة" لعبد اللّطيف ولد عبد الله، فضلاً عن استقصاء معالم الرواية البوليسية

\* عبد الرحمن بغداد: abderrahmane.beghdad@cumaghnia.dz

# الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

ومعوقاتها في الأدب العربي، في ضوء مقارنة استكشافية وتحليلية لكتاب "الرواية البوليسية: بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية" لعبد القادر شرشار.

**الكلمات المفتاحية:** الرواية البوليسية، الجريمة، المحقق، التشويق، الضحية، عملية التحقيق.

## Abstract

The detective novel has worked to exploit the components of the modern artistic novel, both at the level of form and content. It has become based on a fantasy framed by the cases of investigating the mysterious crime *Le crime mystérieux*, and the investigator's decoding of the mysteries of the case through the *L'Enquête* investigation process and follow-up, in addition to relying on a suspenseful plot that mixes and overlaps with the rest of the main pillars such as the criminal, the victim, the suspect, the misleading elements, and the solution... Etc. Despite the novelty of the detective novel, and its great popularity, its share of attention in Arabic literature in general, and Algerian literature in particular, in terms of creativity, history, criticism and rooting, is almost non-existent.

Based on this, the subject of this research paper was determined in tracing the stage of experimentation that the Algerian police narrator knew in the novel *Out of Control* by Abd al-Latif Ould Abd Allah, as well as an investigation of the features of the police novel and its obstacles in Arabic literature, and this is what we will see in the book *The Detective Novel: An Examination of Theory, Historical Origins, Artistic Characteristics and its Impact on the Arabic Novel* by Abdelkader Cherchar.

**Keywords:** detective novel – crime – investigator – suspense – victim – investigation process.

### 1. مدخل عام إلى الدراسة

تعد الرواية البوليسية على اختلاف مسمياتها (الرواية السوداء - رواية المغامرة - رواية الرعب - السلسلة السوداء - الرواية المشككة - رواية التجسس) من الروايات المثيرة كثيرا للجدل، حيث نجد الرأي السائد في أوساط النقد الأدبي أن هذا النوع من الرواية مستبعد تماما من مجال الأدب؛ فلا يوليه النقاد أي اهتمام، بل يتحفظون في أقوالهم وأحكامهم إزاء الرواية البوليسية، حيث يُعد هذا النوع من الرواية في المحيط الألماني، أدباً هزلياً، إن لم يكن أدباً قليل القيمة، لأنه في القليل النادر يهدف إلى الترفيه أكثر من الإثارة<sup>1</sup>. لكن هؤلاء على حد تعبير فرانسوا ريفيار François Rivière الذين كانت لهم الجرأة في الحديث عن النص البوليسي لم يتلمسوا جوهر القضية وإنما طفوا على سطحها فقط<sup>2</sup>، لأن الموضوع يجب أن ينظر إليه من زاوية العناصر المكونة للنص البوليسي لإثبات انتمائه أولاً إلى الآداب؛ فالباحثان بيار لويس بوالو Pierre Louis Boileau وتوماس نرسجك Thomas Narcejac في مؤلفهما الرواية البوليسية *Le Roman policier* ينظران إلى الموضوع من زاوية المكون الأساسي وهو عنصر الخيال الذي لا يجادل أحد في اعتباره جزءاً من العملية الإبداعية. يقولان في ذلك: إذا كانت الرواية البوليسية قبل كل شيء خيالاً، فهي تنتمي وبكل شرعية إلى الآداب<sup>3</sup>. في حين، يذهب عبد الرحمن فهمي إلى اعتبار الرواية البوليسية أولاً روايةً، ولا يمكن أن تسمى اسماً آخر غير الرواية، والرواية – شئنا أم لم نشأ – لوّن من الكتابة لا يماري أحد

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

في شرعية انتسابه للأدب، وهي اليوم أغزر فنون الأدب إنتاجاً على مستوى العالم كله. لكن، يبقى نجاح وفاعلية هذا النوع من الرواية مرهوناً بمدى تلازم دائرتين أساسيتين، هما: دائرة النقد ودائرة القراءة. في حين، إن الواجب والمنطق يقضيان بأن تتطابقا؛ فما دامت مهمة النقد هي تبصير القارئ والأخذ بيده بين الكتب، تفسيراً وتحليل وتقييماً، ومادام القارئ يثق في نقاده، ويطمئن إلى أحكامهم، فلا ينبغي أن يُقبل القارئ على ما يزدريه النقاد، ولا ينبغي أن يزدري الناقد ما يقبل عليه القراء. وإذا حدث هذا - كما هو الشأن فيما يتصل بالرواية البوليسية - كان معناه أن هناك خللاً في إحدى المقدمتين؛ فإما أن النقد قد عزل نفسه عما يشغل اهتمام القراء، وإما أن القراء هم الذين أصبحوا لا يكتثون بموقف النقد من الكتب التي يحبون قراءتها. وكلا الاحتمالين خللٌ في الحياة الأدبية ينبغي أن يُقوّم، وتقويمه لا يكون إلا بأن يسعى أحد الطرفين إلى فهم الآخر، ولا سبيل - غير هذا السعي - إلى أن تعود الدائرتان إلى التطابق بعد الانفصال<sup>4</sup>.

ومهما يكن من انقسام بين النقاد في تفسيرهم لفضائل هذا اللون من الروايات، وهل الرواية البوليسية رواية حقاً؟ تبقى الرواية البوليسية جنساً أدبياً له من الخصوصيات التي تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية؛ فبالإضافة إلى قيامه على لغة التشويق والتركيز على عنصر الصراع وتأويلاته، وعلى اللغة وقدرتها في تحقيق هذا النوع الروائي، فإن للرواية البوليسية عدداً من العلامات المميزة، نجملها في الآتي:

\* أولاً: يمكن الحديث عن الرواية البوليسية باعتبارها رواية اجتماعية، بفضاءاتها التي تنطلق من قضايا المجتمع، الجريمة والفساد والعقاب، رسمت صور صراع الخير والشر بطريقة مبنية على النقد الاجتماعي، والبحث عن الحقيقة وسط شراسة الواقع وغزارة أسباب الكذب والخداع، وعجز الإنسان عن إدراك السلام والطمأنينة<sup>5</sup>.

\* ثانياً: تعرف الرواية البوليسية انتشاراً واسعاً بين جمهور عريض من القراء، بمعنى أنها لا تحتاج إلى نوع معين منهم لفهمها والتجاوب معها، كالشعر مثلاً؛ فجميع أصناف الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية وتباين مشاربهم ومستوياتهم الثقافية يقبلون على قراءة القصة البوليسية<sup>6</sup>. وهذا لما تقدمه لهم من أشياء تتميزها عن غيرها من الأجناس الأخرى. تقول دوروثي ساير Dorothy Sayers: إنه لممتع حقاً، أن نلاحظ شدة التأثير، وعمق الإمتاع اللذين تحدثهما قراءة الرواية البوليسية في جمهورها من المثقفين والكتاب والقراء على حد سواء<sup>7</sup>. ويقول جون كرتير John Carter: إذا حدث وأن توقفت الرواية البوليسية عن الظهور يوماً، فإن تأثيرها سيامتد طويلاً عبر الزمن، لأننا نعتقد أن أثرها يكون قد ترسب في الأذهان، وأعطى ميلاد أدب لا يمكن أن يتجاهله<sup>8</sup>. ولعل هذا ما يبرر الشهرة العالمية التي نالتها أجاتا كريستي؛ فرواياتها ترجمت إلى أكثر من 44 لغة، وأكثر من 4 مليارات من النسخ بيعت (...). إن هذا الاستهلاك لإنتاج الأدبية يجعل منها واحدة من أكبر رجال الأعمال في العالم<sup>9</sup>.

\* ثالثاً: إن الرواية البوليسية غالباً ما تشدنا وتفزعنا حتى النهاية، وتثير فينا قوى الملاحظة والفهم السريع، وتعلمنا كيف نفكر بطريقة تحليلية وأن نفهم التكتيكات والبراعة في التخطيط. ومن ثم، فليس من السهل على أي أديب مهما بلغت موهبته أن يتخذ قرار كتابة رواية بوليسية؛ فهذا النوع من الأدب يحتاج إلى ملكة فطرية تمتلكها فئة

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

معينة من الأدباء، ويحتاج، أيضاً، إلى طول معايشة بالواقع البوليسي أو المرتبك بالجريمة<sup>10</sup>. وقد استطاعت مجموعة من الكتاب الإحاطة بهذه المسببات وأن تمتلك زمامها؛ فعلى غرار إدجار ألن بوشاب أهم ثلاث روايات بوليسية التي قام بتأليفها بين عامي 1840 و1843، وهي جرائم شارع مورجن والرسالة المسروقة وسر جريمة ماري روجي، لمعت أسماء كثيرة في النصف الأول من القرن الماضي منهم السير آرثر كونان دويل الذي أبدع شخصية المخبر شارلوك هموز الشهيرة، كما أقبل القراء على روايات البلجيكي جورج سيمون الذي أبدع شخصية المفتش ميغريه أعظم المخبرين في القصص البوليسية قاطبةً، ومروراً بالكاتبة الإنجليزية الشهيرة أغاثا كريستي التي حظيت قصصها البوليسية بالترجمة أكثر من غيرها في العالم<sup>11</sup>.

\* رابعاً: نالت الرواية البوليسية مكانة اعتبارية لدى كُتّابها، ومقروئية لا بأس بها وسط جمهورها، تجاوزت القارئ العادي إلى الناقد والباحث الأكاديمي؛ فهناك العديد من الباحثين والنقاد الذين انفتحوا على الرواية البوليسية ومنهم: جاك ديبيوا Jacques Dubois، وتودوروف Todorov، وجيل دولوز Gilles Deleuze، وغيرهم. كما أن الروايات العالمية التي لقيت رواجاً وانتشاراً واسعاً، مثل اسم الوردة لأمبرتو إيكو، وشيفرة دافنشي لدان بروان، اعتمدت الحبكة البوليسية<sup>12</sup>.

\* خامساً: ومما لا شك فيه أن ظاهرة انتشار الأدب البوليسي في الأسواق ظاهرة ملفتة للانتباه، حيث إن الرواية البوليسية تنزل بأعداد هائلة إلى الأسواق. وتعد هذه الظاهرة وحدها كافية لتقام حولها دراسات جادة وموضوعية. وعلى الرغم من ذلك، ما يزال الدارسون والنقاد يتحفظون في أقوالهم وأحكامهم إزاء الرواية البوليسية<sup>13</sup>.

### 2. الرواية البوليسية: التأسيس المفاهيمي

ما هي الرواية البوليسية؟ وما الذي يبحث عنه القارئ عندما يفتح كتاباً تنطبق عليه هذه التسمية؟

جاءت كلمة بوليس من اليونانية بوليتيا وتعني في الأصل إدارة المدينة. وهي تشمل مجموع القوانين والقواعد التي يلتزمها المواطن من أجل أن يسود النظام والطمأنينة والأمان في المجتمع. وصارت الكلمة فيما بعد تعني مجموعة رجال منظمة مسلحة مكلفة أن تفرض احترام هذه النظم والقوانين، وكان نظام الشرطة متبعاً في مدن الفراعنة منذ أكثر من خمسة آلاف سنة. ثم تطور معنى كلمة بوليس الأوروبية مع الزمن، وصارت تعني، في عبارة: القصة البوليسية، ذلك النوع من القصة أو الرواية التي تعالج قضية جنائية، يحاول التحقيق والأدلة الجنائية والمحقق الخاص، أن يفكوا أحاجيها وعقدتها الغامضة لإماطة اللثام عن الجرم المتخفي، الذي حاول أن يخفي جريمته، بما يقرب من الجريمة الكاملة ويلاحظ أن تسمية الرواية البوليسية بالفرنسية Roman Policier، تختلف في معناها قليلاً عن التسمية الإنجليزية Detective Novel، التي تعني: رواية التحقيق الجنائي، إلا أن التسميتين تعيان النوع الأدبي نفسه في الإجمال<sup>14</sup>. في حين يعرفها معجم النقد الأدبي باعتبارها شكلاً روائياً ظهر في القرن التاسع عشر مع التطور الحضري للمدينة الأوروبية، وتطور الشرطة، وكذلك العلم الوضعي، وكذا التقنيات الجديدة للبحث، قوامه

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

اكتشاف رجل من رجال البوليس أو التحري عن جريمة تبدو وكأنها كاملة. وفي هذا النوع من القصة يتقدم المؤلف نحو الحل بطريقة مشوقة تثير فضول القارئ وتحبس أنفاسه وتستثير لديه ملكة حل الألغاز<sup>15</sup>.

أما تقييم الرواية البوليسية في العالم العربي، فالأمر يختلف تمامًا، حيث لا نكاد نعثري على كتاب مختصين أو مشهورين في هذا الشكل الروائي (... بل إن أمر الرواية البوليسية في الوطن العربي يثير التباساً ومفارقةً، وهي على الرغم من وجود قاعدة واسعة لتلقي الرواية البوليسية فإن إنتاجها متعثروشبه منعدم، لم تتبلور معه بعد رواية بوليسية عربية، لأن القصة البوليسية التي ترجمت منذ زمن، وصدرت ضمن طبعات شعبية بقيت خارج قدرة الإبداع العربي على إنتاجها<sup>16</sup>، وذلك بسبب افتقار السرد العربي إلى روائيين متخصصين في الرواية البوليسية مع ما نجده في روايات الخيال العلمي<sup>17</sup>. وقد عزا عبد القادر شرشار أسباب غياب النص البوليسي بالمواصفات الغربية في الأدب العربي إلى مجموعة عوامل يُجملها في عاملين أساسيين هما:

أ / الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وارتباطها بالمدينة<sup>18</sup>

من بين المشاكل التي يعرفها المجتمع الغربي المتحضر اليوم، اتساع المدينة، وما يفرضه - هذا الاتساع - على المستوى الهيكلي أو الفضاء المكاني وتكدس السكان وكثافتهم، وما يترتب عليه من تعقيدات في الاتصال والتعامل نتيجة بروز ظواهر اجتماعية سلبية خطيرة، تطفو أغلبها على سطح النص البوليسي. ويمكن أن نذكر بعضها:

- نمو حس الأنانية، وحب الذات لدى الفرد الأوروبي، وانتشار هذه الظاهرة واستفحالها في المجتمعات الأكثر تصنعاً.

- البحث عن الوحدة والعزلة، وهذا نتيجة الضغط الاجتماعي المفروض على الأفراد والمتسبب في اللاتعايش الاجتماعي في التجمعات الحضرية على غرار التآلف والتضامن بين الأفراد في المجتمعات الريفية.

- الطموح إلى اعتلاء مراكز السلطة، عن طريق استخدام أقبح الطرق، وأوضاعها. كاللجوء إلى التزوير في الانتخابات والممارسات اللاشعرية، والرشوة.

- اللجوء إلى العنف الشفهي أو الجسدي، وممارسة العنف السياسي، وما يسببه هذا العنف من ضحايا إنسانية وأزمات اجتماعية واقتصادية.

- انتشار تعاطي الخمر والمخدرات في الأوساط الطلابية وداخل المدارس والجامعات، وما ينتج عن ذلك من تدهور في العلاقات الأسرية.

- الهيكلة العمرانية للمدينة المعاصرة وما تفرزه من تناقضات على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والأمني نتيجة الفوارق الطبقيّة، والعنصرية، وتردي المستوى المعيشي لبعض الفئات الاجتماعية.

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

- النمو الديمغرافي للسكان داخل المدينة وما يفرزه هذا النمو السريع من مشاكل سياسية واجتماعية كالبطالة وانتشار الجريمة، والعنف.

- انتشار ممارسة الجنس تحت تأثير الدعاية الإشهارية التي تتخذ مفاتن جسم المرأة العاري مادة لها، وتطور وسائل الإعلام السمعية البصرية، (السينما، التلفزة، الراديو، الفيديو، الإنترنت.) وكثرة الملاهي، واعتبار الجنس ظاهرة اجتماعية تسمح بها أخلاق المجتمع الغربي.

ب / الحياة الثقافية في الغرب وتطور الجهاز الإيديولوجي والفكري

- انتشار الفكر العلمي والتكنولوجي وتطور الصناعات المختلفة.

- تطور جهاز البوليس وتوسيع مجال اختصاصاته نتيجة الفصل بين السلطات وتأسيس الدولة على قواعد الهيمنة الطبقيّة العقلانية؛ فالبوليس هو تطوير لشخصية الشريف، أو هو القانون مجسداً في مواجهة الغرائز التي تحاول تدمير بنية المجتمع.

- جمود الحس الديني، وعدم فعاليته في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ويرجع، أيضاً، هذا الغياب إلى أن الواقع الأليم للمجتمع العربي يعكس التناقض الرهيب بين المجتمع السياسي الذي تعمقت عزلته الأيديولوجية والمجتمع المدني الذي حطم القهر لحمته وتضامنه، بعد أن بذر فيه الاستعمار الاستيطاني بذور النزاع، وانحلال علاقات القرى والتضامن الجماعي. وعلى الرغم من ذلك كله، بقيت ثوابت اجتماعية وأخلاقية حالت دون ترسخ أدب بوليسي بالمواصفات الغربية في الأدب العربي<sup>19</sup>. ويؤكد، كذلك، أن الاستعمار الاستيطاني والنفوذ الثقافي كان لهما التأثير الكبير على السلوك الفردي والجماعي للمواطن العربي، حيث شمل هذا الاستعمار كل أجزاء الوطن العربي وكان ذلك إثر فشل وضعف الإمبراطورية العثمانية، التي خلفت إرثاً اجتماعياً واقتصادياً متدهوراً على أكثر من صعيد<sup>20</sup>. ويرجع الروائي إدوارد الخراط غياب الرواية البوليسية في أدبنا العربي إلى القيم الاجتماعية التي نعيش عليها والتي لا تتيح المجال واسعاً لأي كتابة بوليسية من أي نوع؛ فمقولات (خليها على الله) و(الصلاح خير) تجعل مجتمعنا يبدو مسالماً، رغم أنه في الواقع غارق في الجريمة (...)، وهناك سبب آخر وهو أن الرواية البوليسية تُقَابَلُ دوماً بالترفع والاستعلاء من جانب النقاد والكتاب باعتبارها رواية مسلية كُتِبَتْ خِصيصاً لتمضية وقت الفراغ<sup>21</sup>.

ويرى البعض الآخر أن القصة البوليسية هي نتاج المدنية الغربية؛ فقد فرزت هذه المدنية وسائل تقنية تساعد على اقرار جريمة في الخفاء، كما زودت رجل البوليس بوسائل تقنية تعينه على الكشف عن الجريمة. في حين، تغلب على المجتمع العربي الحالي خصائص البداوة. لهذا، فالقصة البوليسية لم تجد الظروف الملائمة لمولدها، اللازمة لنموها<sup>22</sup>. ويميل بعضهم إلى أن السر في عدم ظهور القصة البوليسية في الأدب العربي الحديث

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

يعود إلى الأديب العربي نفسه؛ فهو أديب ملتزم يكتب أدباً رصيناً دفاعاً عن قضية، أو سعياً وراء مجد أدبي، وقلم يكتب من أجل تحقيق ربح مادي<sup>23</sup>.

وتأسيساً على ذلك كله، يجمع الروائيون والدارسون العرب على أن من أسباب عدم وجود تراكم حقيقي لرواية بوليسية عربية يعود على غياب سياق أدبي يسمح بإنتاجها، إضافة على عدم توفر أرضية سياسية وديمقراطية وخبرة علمية ومهنية تساعد على إنتاجها.

### 3. موضوعات الدراسة

إنّ ورقتنا البحثية هذه ليست سوى محاولة للوقوف عند ما يميز الرواية البوليسية عن غيرها من الروايات مقدراً في ذلك ما فيها من إثارة لا يتوافر في الأجناس الأدبية الأخرى، لأن أقصى ما يطمح إليه الكاتب أن يستولي على اهتمام قارئه ويسيطر على مشاعره وأفكاره؛ فيوجهها الوجهة التي يشاء، والتي من أجلها كتب ما كتب حتى يحمل القارئ على متابعته إلى النهاية. ومن هنا، وعلى وجه التحديد، تنطلق دراسة عبد القادر شرشار "الرواية البوليسية: أصولها التاريخية وخصائصها الفنية وأثرها في الرواية العربية المعاصرة"، من أجل توسيع دائرة البحث في الأدب البوليسي، بكل أنواعه وأشكاله، ومحاولة التمييز بين الرواية البوليسية النموذجية (جريمة - مجرم أو عصابة - تحقيق - المخبر أو المفتش) وبين الرواية ذات الإيقاع البوليسي (اللص والكلاب لنجيب محفوظ) والتي قد تشارك القصة البوليسية في عناصر عديدة، كالجريمة والتحقيق والمطاردة... دون أن تكون قصة بوليسية بالمعنى الأجناسي، إضافةً إلى انشغاله لماذا لا يقبل الأدباء العرب على كتابتها على غرار الغربيين، أو بالأحرى لماذا لم تبلور الرواية البوليسية العربية بالمواصفات المعروفة في الآداب الغربية.

يعتبر الكاتب عبد القادر شرشار من الأسماء الأدبية والنقدية المؤثرة بشكل كبير في المشهد الأدبي الجزائري؛ فهو واحد من الباحثين المتميزين الذين جمعوا بين البحث الأكاديمي والتأليف، حيث أثرى المشهد الثقافي بغزارة إنتاجه، وتعدد اهتماماته في مجال البحث والتدريس والكتابة.

ومن خلال كتابه الرواية البوليسية - بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية يقدم لنا المؤلف مجموعة من الرؤى، والأفكار الجادة، والتميزة التي تهدف إلى استقراء جديد لواقع الرواية البوليسية العربية عامة، والجزائرية خاصة، واستشراف آفاقها المستقبلية، وتعقب رهانات التغيير في تقنيات السردية، وطرائق بنائها، وموضوعاتها.

يستهل شرشار عبد القادر كتابه بمقدمة تضمنت عرضه للدافعين الكامنين وراء اختياره لموضوع الرواية البوليسية وهما: (انتشار النصوص البوليسية بين أوساط طبقات القراء المختلفة - إحصاء النقد والدارسين عن تناولها لاعتقادهم أنها لا تنتمي إلى حقل الآداب)، ثم رصد صعوبات البحث التي حصرها في: (ندرة المراجع والدراسات في هذا مجال الرواية البوليسية - وانعدامها باللغة العربية)<sup>24</sup>. وفي تحليله لانعكاسات الحس البوليسي في الأدب العربي، ارتأى التركيز على مقومات هذا الحس في النصوص مباشرة، حرصاً منه على تكامل البحث منهجياً؛ فقام

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

بإحصاء بعض المبررات التي رآها موضوعية والتي حالت دون ظهور نص بوليسي عربي بالمواصفات الغربية ومنها (الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وارتباطها بالمدينة - الحياة الثقافية في الغرب وتطور الجهاز الإيديولوجي والفكري)<sup>25</sup>.

ثم انطلق في تقديم نظرة تاريخية حول ظهور النص البوليسي ومكانته في الغرب، وكيف استطاع أن يحتل موقعاً في حقل الآداب والانتماء إلى جنس الرواية، و، من ثم، يحظى باهتمام النقاد والدارسين. ثم تطرق الكاتب إلى الخصائص الفنية للحس البوليس في الرواية العربية من خلال دراسة تطبيقية لبعض النصوص من رواية "الشيء الآخر" لغسان كنفاني، التي وقف من خلالها على: العناصر البوليسية في الرواية - التشكيل الفني للرواية - علام كان التركيز على الآخر أم على الشخصية، ومستحضرا - من باب الاستشهاد - مجموعة من المواقف والتعريفات لروائيين مثل ميشال بوتور وونقاد كفرانسييس لكسان<sup>26</sup>.

وفي الفصل الثالث، يذكر الكاتب أن الرواية البوليسية الجزائرية بدأت متأخرة عن الرواية البوليسية في المشرق العربي خصوصاً، وفي الغرب عموماً، وذلك راجع - في رأيه - إلى الأسباب التالية:

1. ارتباط الأدب الجزائري بالواقع الراهن لأتمته (هيمنة الجانب الإيديولوجي والسياسي والاجتماعي).
2. تعلقه بتراثه العربي في محاولة لإعادة بعثه، والعمل على تجديده.
3. اعتقاد بعض النقاد والباحثين - ولمدة طويلة - أن النصّ البوليسي أدبٌ شعبيٌّ (موضوعات الرواية البوليسية تعبر عن مظاهر سطحية، يمكن العثور عليها في المجتمعات كلها).
4. أنه لا يوجد في الوطن العربي كُتّاب للرواية البوليسية، لماذا؟، لأن الأمة تواجه اليوم مشاكل جادة ومعقدة، تستوجب اهتمام الكتاب والتزامهم. ثم يعلق قائلاً: أنه لا يوجد سوى أعمال بوليسية مترجمة من الفرنسية أو الإنجليزية كروايات (أجاتا كريستي) وغيرها<sup>27</sup>.

ويعتبر الكاتبُ الروائيُّ يوسف خضير من رواد الكتابة القصصية البوليسية الجزائرية أو ما يسمى برواية التجسس بداية من سبعينيات القرن العشرين بروايته تحرير فدائية *Délivrez la Fidaya* عام 1970، التي أتبعها بروايات: الانتقام يمر بغزة *La vengeance passe par Ghaza* توقيف مخطط الإرهاب *Halte au plan terreur* - الجلادون يموتون أيضاً *Les bourreaux meurent aussi* منع طائرة فونتوم عن تل أبيب *Pas de phantom pour Tel Avive* - النمر تهجم *Les Panthères attaquent*. وفي السياق ذاته، تستوقف الكاتب تجربة زهيرة عوفاني في الثمانينيات بقصصها البوليسية، الممثلة في عمليْن إبداعيين، هما: صورة مفقود *Le portrait du disparu* (1985) - قراصنة الصحراء *Les pirates du désert* (1987)<sup>28</sup>.

ثم يحاول عبد القادر شرشار التوقف عند الروائيتين البوليسيتين الأخيرتين، بالقراءة والتحليل، مُستخلصاً أن قصة صورة مفقود تمثل محاولة أولى في الكتابة البوليسية لدى الكاتبة، وتعمق هذه المحاولة أكثر في الرواية

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

الثانية قرصنة الصحراء، فتأخذ التجربة منحى آخر، يذكرنا بأجاتا كريستي، في طريقة التحكم في أداة التشويق ومغالطة القارئ، وإجباره على الاتجاه إلى الخط غير السليم في النهاية<sup>29</sup>.

ويطرق الكاتب بعد ذلك وضع الكتابة البوليسية الجزائرية وتحولها من طابعها الصناعي الميكانيكي إلى الطابع الفني الملتزم بقضايا وأخلاق الأمة، فالحبكة البوليسية واضحة، وقوانين اللعبة محكمة، إلا أن الجديد هو التحول نحو تبني القضايا الجادة باستخدام وسائل بوليسية من تحقيق، ومباحث، ومطاردة، وقتل<sup>30</sup>.

أضف إلى ذلك، مدى إسهام بعض العناوين في إثراء سجل الرواية البوليسية الفرنسية للغة بالجزائر. كما هو الشأن بالنسبة لروايات جمال ديب: بعث عنتره Résurrection d'Antar (1986)، وسأغا الجن La Saga de Jins (1987)، وأرخبيل ستلاق L'Archipel du Stalag. كما ساهم سليم عيسى بروايتين، هما: ميمونة Mimouna، وعادل يعرقل Adel se mêle. كما صدرت لعبد العزيز عمrani روايتان تتناولان موضوع الصراع العربي- الصهيوني، وهما: هجوم مضاد Contre attaque، ومصيدة من أجل تل أبيب Piège pour Tel Aviv<sup>31</sup>.

ويختتم الكاتب شرشار عبد القادر الدراسة بموقفه ووجهة نظره في المسألة بأن الرواية البوليسية لا يمكن مقارنتها بأعمال شندلر أو أجاتا كريستي ولكن يمكن اعتبارها محاولات أولية واعدة، إذا أُحسِنَ استثمارها من خلال القراءات النقدية الجادة والمعمقة، وتمَّ نقلها إلى العربية لتكون حافراً للكُتَّاب الشباب للاتجاه بهذا الجنس الأدبي إلى غاية نبيلة، وذلك من خلال استغلال فنيات الرواية البوليسية وأسلوبها البسيط لإمتاع جمهور القراء وتعليمهم، في زمن فقَدَ فيه الناس مُتعة القراءة، نَظراً لتأثير وسائل الإعلام السمعية البصرية، وانتشار شبكات الانترنت،

وانعكاساتها السلبية -أحياناً- على الكُتَّاب<sup>32</sup>.

### 4. في تقييم الرواية؛ "خارج السيطرة" لعبد اللطيف ولد عبد الله

تعتبر رواية "خارج السيطرة"، للكاتب عبد اللطيف ولد عبد الله، واحدة من الروايات البوليسية الجزائرية التي استطاع، من خلالها، الروائي أن يرصد أهم مواصفات الإنسان الجزائري في طبعه وأحواله، مازجاً في ذلك بين الشخصيات والأحداث والمسارات السردية دون أن يفقد خيط السرد تماسكه واتساقه. ولعل من بين ما استرعى انتباهنا في هذه الرواية ما يلي:

1. أنها كانت رواية التفاصيل بامتياز، فقد قدمت لنا عالماً روائياً خصباً قائماً على الوصف الدقيق للأشياء، والشخوص، والفضاء، والمحيط الذي تتوالى فيه الأحداث.

2. انتباه القارئ إلى تلك الأفعال والطقوس والعادات التي نمارسها يومياً دون أن نلقي لها بالا في كثير من الأحيان، ونحن نقرأ كنا نستمتع بجمال المشاهد والصور وال فقرات والتي كانت تبدو كصور فوتوغرافية التقطتها كاميرا فنان محترف.

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

3. أن طريقة العرض بحثاً عن هوية المجرم خلقت فينا ذلك الشغف بأي شيء كان : بفكرة ما، بتفصيـلة ما، بقضية ما، وقد يكون شغفا يحدث عارض غير ذي أهمية وتتبع مساره حتى النهاية.

4. أن دقة الوصف النابعة من مخيلة روائية يتكئ عليها الكاتب لخلق إبداعه الخاص فليس سهلاً أن يبتكر عالماً روائياً مليئاً بشتى الصور والدقائق، خصوصاً في عمك الروائي الأول.

5. الاحتفاء بالإنسان كان ميزة أخرى راهنت عليها الرواية بشكل لافت بدءاً من هويته الاسمية، وجوده الفيزيقي بمظاهره المختلفة: الشكل الخارجي، تقاسيم الوجه ومعامله، إيماءات الجسد طريقة المشي، ماركاتو وألوان الأزياء، وحتى شكل الحذاء وساعة اليد، كما أنها لم تغفل تمثيل هذا الوجود الإنساني في جانبه النفسي والوجداني: أشد اللحظات حزناً وأشدّها سعادة، مشاعر الغضب، الخوف، الألم، الوحدة، ومشاعر الحب، مروراً بمشاعر السخرية، التهكم والاشمئزاز. ذلك كله كان جلياً ونحن نسير جنباً إلى جنب مع البطل أحمد المحقق الشاب في رحلة بحثه عن الحقيقة وشخوص الرواية الآخرين.

6. هي رواية الجريمة والقتل والتحريات ولكنها كانت، أيضاً، رواية الإنسان الجزائري في يومياته، في بساطة عيشه، في صراعه وسط مجتمعه وعلاقته بواقعه وفي جميع انكساراته واحباطاته، ولو أننا لم نقرأ اسم الكاتب على الغلاف لقلنا أن بعض المقاطع الوصفية هي لأحد كبار الروائيين.

7. نقدر أيضاً ميزة أخرى وهي القاموس اللغوي الثري للكاتب والذي ينم عن اشتغال مكثف باللغة لا على مستواها الاستعاري بل على المستوى المفرداتي والذي أنتج غزارة لغوية تسمي الأشياء بمسمياتها الدقيقة. ذلك كله وفق أسلوب سلس واضح المعالم يتماشى وطبيعة النص البوليسي والذي يبدو أن الروائي ولد عبد الله كان على معرفة خاصة به.

8. تصوير عنصر الجريمة في هذه الرواية يعني أن تمارس نقداً لمختلف مظاهر الفساد في الجزائر، يا حبذا لو كانت جريمة القتل باباً واسعاً يفتح على عالم الإجرام في الجزائر، وكنا نتمنى لو كان هناك تعاطي عميق مع نفسية وسلوك المجرمين.

9. فكرة جميلة أخيراً، أن نحاول الخروج من صرامة النص البوليسي بتطعيمه بأبيات من الشعر العربي، والترنم ببعض أغاني الراي، الفن الأكثر شعبية في الغرب الجزائري، الفن المرتبط بأكثر طبقات المجتمع هامشية.

خاتمة

- نخلص من وقوفنا على مسألة الرواية البوليسية الجزائرية إلى القول بأن هناك محاولات في النص الروائي البوليسي بالجزائر على وجه الخصوص لكنه لا يرقى إلى الرواية البوليسية النموذجية.

- يعقب الباحث والناقد الجزائري عامر مخلوف عن ذلك بقوله: ولو وجدت محاولات فهي لا ترقى إلى الرواية البوليسية، بالرغم من أن مجتمعاتنا مليئة بالسُّراق والمجرمين وتجار المخدرات وبالسجون؛ فكتابتها ليست مجرد

## الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

نزوة أو رغبة ذاتية، إنما هي بقدر ما تبدو بسيطة ومُسلية، فهي – في الوقت ذاته - بنية بالغة التعقيد تقتضي حنكة وذكاء، لأنها من إفرزات مسار معقّد امتدّ على مدى قرون. فضلاً عن أن بعض كُتّابها يستندون إلى وثائق من صنع البوليس مما له علاقة بحرية الاطلاع على الأرشيف.

- في حين، يذهب القاص والناقد الجزائري عبد الحفيظ بن جلولي إلى اعتبار السبب المحتمل في عدم ظهور الرواية البوليسية في الجزائر والعالم العربي هو اختلاف المسارات والظروف التاريخية؛ فغياب عنصر الجريمة في علاقتها سواء بالاستعمار أو بمسار الحداثة، يكون قد صبّب التواصل مع هذا الشكل الروائي، وخصوصاً إذا وضعنا في الحسبان العداء التاريخي للاستعمار والحساسية اتجاه مفهوم الحداثة كعنصر من عناصر الانسلاخ عن الهوية.

- وأخيراً، يرى الباحث والناقد الجزائري محمد بن زيان أن بعض كتابنا ينظرون نظرة استصغار وتثفيه للرواية البوليسية. لكن تستوقفنا – في مقابل ذلك - تجارب روائية عديدة (ياسيمنة خضرة - محمد جعفر في هديان نواقيس القيامة - نسيم بولوفة في نبضات آخر الليل - عز الدين جلاوي في الرماد الذي غسل الماء) شكلت طفرةً نوعية في الرواية البوليسية الجزائرية، لاسيما تلك التي جعلت من البنية البوليسية بنية ضمنية صريحة للتعبير عن أسئلة الواقع التي اختفت فيها بؤر الجريمة وامتداداتها.

### الهوامش

<sup>1</sup> ينظر: فولكر أوت، الرواية البوليسية - ترجمة: محمد فؤاد نعناع - مجلة الآداب الأجنبية - العدد 96 - 01 أكتوبر 1998 - ص 38.

<sup>2</sup> Boileau Narcejac, Le roman policier, Op. Cit. p. 124

<sup>3</sup> Ibid. p. 31

<sup>4</sup> عبد الرحمن فبهي، الرواية البوليسية - مجلة فصول - العدد 02 - 01 مارس 1982 - ص 39.

<sup>5</sup> شعيب حليفي، التخيل ولغة التشويق - مقارنة في البناء الفني للرواية البوليسية في الأدب العربي - مجلة فصول - العدد 76 - 2009 - ص 67.

<sup>6</sup> جوليان سيمونز، القصة البوليسية في الأدب الإنجليزي - ترجمة: علي القاسمي - بغداد - منشورات الشؤون الثقافية والنشر - 1984 - ص 21.

<sup>7</sup> Boileau Narcejac, Le roman policier, p. 24

<sup>8</sup> Ibid. p. 24

<sup>9</sup> Un autre Mystère d'Agatha Christie, Horizon quotidien Algérien, N°. 1226, p. 9

<sup>10</sup> ميرنا أوغلانين، أغاثا كريستي ملكة الرواية البوليسية - مجلة الموقف الأدبي - العدد 511 - 01 نوفمبر 2013 - ص 187.

<sup>11</sup> ينظر: جوليان سيمونز، القصة البوليسية في الأدب الإنجليزي - ص 9 - 12.

<sup>12</sup> بوشعيب الساوري، مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية - مجلة فصول - العدد 76 - 2009 - ص 69 و 70.

<sup>13</sup> عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية: بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية - دمشق - منشورات اتحاد الكتاب العرب - 2003 - ص 21.

<sup>14</sup> سحاب فكتور، الرواية البوليسية - مجلة ثقافية - العدد 46 - سبتمبر / أكتوبر 2010:2010 <http://qafilah.com/ar/issues-archive/?y=2010:2010>

<sup>15</sup> مجموعة من المؤلفين. معجم النقد الأدبي - ترجمة: كامل عويد العامري - بغداد - دار المأمون للترجمة والنشر - 2013 - ص 364 - 365.

<sup>16</sup> إلياس الخوري، الذاكرة المفقودة - دراسات نقدية - بيروت - مؤسسة الأبحاث العلمية - 1982 - ص 350.

<sup>17</sup> ينظر: بوشعيب الساوري، مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية - ص 70.

# الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب

عبد الرحمن بغداد

- 18 عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية – ص 104 و 105.
- 19 عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية – ص 115.
- 20 ينظر: المصدر نفسه – ص 116.
- 21 بوشعيب الساوري، مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية – ص 73.
- 22 جوليان سيمونز، القصة البوليسية في الأدب الإنجليزي – ص 25.
- 23 المرجع نفسه – ص 26 و 27.
- 24 ينظر: عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية – ص 9.
- 25 ينظر: المصدر نفسه – ص 103.
- 26 ينظر: المصدر نفسه – ص 120.
- 27 ينظر: المصدر نفسه – ص 159-160.
- 28 ينظر: عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية – ص 163.
- 29 ينظر: المصدر نفسه – ص 160-162.
- 30 ينظر: المصدر نفسه – ص 165.
- 31 ينظر: المصدر نفسه – ص 166.
- 32 ينظر: عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية – ص 166-167.

## المصادر والمراجع

### المراجع العربية

1. إلياس الخوري، الذاكرة المفقودة- دراسات نقدية - بيروت - مؤسسة الأبحاث العلمية - 1982.
2. عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية - بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية- دمشق - منشورات اتحاد الكتاب العرب - 2003.
3. جوليان سيمونز، القصة البوليسية في الأدب الإنجليزي- ترجمة: علي القاسمي- بغداد- منشورات الشؤون الثقافية والنشر- 1984.

### المراجع الأجنبية

1. Boileau Narcejac, Le roman policier, Op. Cit. P.
2. Un autre Mystère d'Agatha Christie, Horizon quotidien Algérien, N°. 1226.

### الدوريات

1. فولكر أوت، الرواية البوليسية- ترجمة: محمد فؤاد نعناع - مجلة الآداب الأجنبية - العدد 96 - 01 أكتوبر 1998.
2. عبد الرحمن فهمي، الرواية البوليسية- مجلة فصول - العدد 02 - 01 مارس 1982.
3. شعيب حليفي، التخيل ولغة التشويق - مقارنة في البناء الفني للرواية البوليسية في الأدب العربي- مجلة فصول - العدد 76 - 2009.
4. ميرنا أوغلانبيان، أغاثا كريستي ملكة الرواية البوليسية- مجلة الموقف الأدبي- العدد 511 - 01 نوفمبر 2013.
5. بوشعيب الساوري، مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية- مجلة فصول - العدد 76 - 2009.
6. سحاب فكتور، الرواية البوليسية- مجلة ثقافية- العدد 46 - سبتمبر / أكتوبر 2010. <http://qafilah.com/ar/issues-archive/?y=2010>.

### المعاجم

1. مجموعة من المؤلفين، معجم النقد الأدبي- ترجمة: كامل عويد العامري - بغداد - دار المأمون للترجمة والنشر - 2013.